# فـــــن الخـــزف والتخطيـط الحضري لمدينـــة بغـــــداد

أنـغام ســـعدون طـه

كلية الفنون الجميلة/جامعة بغداد

**ملخص البحث**

يرتبط فن الخزف بالنمو العمراني في المدن، وقد تداخل مع البناء والتشييد المعماري، احدث الانفجار السكاني والنمو العمراني والمعرفة والتمدن في اعتبار فن الخزف مكملا معماريا جماليا مهما في المدن، ومنها في الساحات والمنشاة المعمارية في مدينة بغداد، وكان العنوان : (فن الخزف والتخطيط الحضري لمدينة بغداد)، طرحت مشكلته تساؤلاتها: 1 - هل تلاءمت النصب الخزفية بمواقعها في مدينة بغداد مع التخطيط الحضري والعمراني للمدينة. 2 - هل تفاعل المتلقي مع هذه النصب وأسباب وجودها، ومن ثم الهدف: تعرف علاقة النصب الخزفية بالتخطيط الحضري لمدينة بغداد، جاء الفصل الثاني وإطاره النظري بمباحثه الأول: التخطيط الحضري والعمراني للمدن، والثاني: المعالجات التصميمية والمعمارية في المدن المعاصرة، والثالث: الحوار البصري بين فن الخزف والعمارة، ثم الفصل الثالث إجراءات البحث وتحليل العينة والفصل الرابع النتائج والاستنتاجات ومن أهمها: لم يهتم المعماريون ومخططو مدينة بغداد المعاصرة بإدخال النماذج الفنية الخزفية كجزء من بنية المدينة الحضرية ومشاورة الفنانين وذوي الاختصاص بحركة فن الخزف ضمن تصميم الشوارع والساحات وحركة المارة.

**الفصل الأول: الإطار المنهجي : مشكلة البحث**

تسعى المدن المعاصرة الى التنظيم المديني والحضري بكل الطرق والوسائل، وبإقامة الدراسات والفرضيات العلمية والتطبيقية، والتي تسترعي العديد من الوقائع المعاشة والمفروضة، وقد برعت العديد من دول العالم بإحياء مدنها وعواصمها بشكل يصل الكمال جماليا ووظيفيا، وقد أصبحت العواصم تتبارى بالأفضل والأكثر مثالية، ظلت الدول النامية تحاول اللحاق بركب التطور المعماري والحضري فاستوردت العديد من الأفكار والمعدات والتصميم والخرائط فيما يخص تخطيط المدن، ولكن يبقى هناك خصوصية للمدن، وهناك المتقدم والأكثر تقدما.

لم يفارق الفن والأعمال التصبية تطور المدن فهو وجد مع وجود الإنسان وبناء مدنه، اذ رافقت النصب الفنية بناء المدن وتشييدها عبر التاريخ، ولم تخلو مدينة من النصب والأعمال الفنية الموضوعة في طرقاتها وحدائقها وساحاتها العامة ، وكان للخزف نصيبا عبر التاريخ في عمائر المدن، ومدينة بغداد من المدن العريقة والأصيلة في التاريخ والحضارة ، وقد شهدت نمو وتوسع عبر الأزمان، ولم تخلو مدينة بغداد المعاصرة من

النصب الخزفية وهنا لابد من إثارة تساؤلات لإتمام بحثنا: 1 - هل تلاءمت النصب الخزفية بمواقعها في مدينة بغداد مع التخطيط الحضري والعمراني للمدينة . 2 - هل تفاعل المتلقي مع هذه النصب بما يحقق دلالاتها وأسباب وجودها.

**أهمية البحث:**

1 -دراسة تخطيط مدينة بغداد الحضري والبيئي قبل إقامة اي نصب خزفي فيها.

2 -تفيد الباحثين الفنانين والمعماريين والقائمين بالإشراف على المدينة، في دراسة المواقع والساحات والطرقات وأثرها في المتلقي، لتحقيق الأفضلية في وضع النصب الخزفية.

**هدف البحث /** تعرف علاقة النصب الخزفية بالتخطيط الحضري لمدينة بغداد.

**حدود البحث/** الحد المكاني:مدينة بغداد/ الحد الزمني:1980 -1990م /الحد الموضوعي: دراسة النصب الخزفية وعلاقتها بالعمارة في بغداد

**تحديد المصطلحات/** التخطيط الحضري: هو كل ماله علاقة بالمدينة وأنشطتها، وامتداداتها العمرانية، وكما يقول ابن خلدون التحضر هو منتهى العمران، وهو الاستقرار والارتباط بمكان وتنميته، والأخذ بأسباب الحضارة والرقي والتطور، وهو النمو والتوسع في المدن المتحضرة ومراكزها بالتشييد العمراني والسكاني والتكنولوجي، وماله علاقة بالجمالية المدينية، وتداخل الأعمال الفنية بالتخطيط العمراني ، ومعالجة التلوث البصري للمدن.

الفصل الثاني / الإطار النظري: الدراسات السابقة: كانت دراسة علية يونس (التطبيقات الجمالية والتداولية للخزف المعاصر في العمارة العراقية) الاقرب الى البحث الحالي كونها درست الاعمال الخزفية في بغداد والمحافظات وكانت قراءتها للاعمال الخزفية كونها اعمالا تداوليةضمن العمارة، وتختلف دراستنا عن دراسة علية بان تقوم دراستنا على قراءة الطرق والمدن وعلاقتها بالاعمال الخزفية ضمن التخطيط الحضري العمراني للمدينة.

**المبحث الأول: التخطيط الحضري والعمراني للمدن**

تتميز المدن بطابع خاص يحدد شكلها ووجودها، وتعرف الكثير من المدن بطابعها المعماري وتخطيطها الحضري الذي قامت عليه، وقد تكون بعض المدن قد تأسست وفقا لنظام معين او انها استيطان قديم توسع ليصبح مدينة كبرى عريقة، وتتجاذب المدن سمعتها وأهميتها من خلال تخطيطها الحضري المميز او من خلال عراقتها وقدم وجودها .

وقد ذكرت العمارة والبناء والتخطيط العمراني وتفوقه كثيرا في القرآن الكريم ومنها بسم الله الرحمن الرحيم "اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"صدق الله العظيم (الاعراف،آية74).

وقد ذكرت في القرآن أسماء مدن مهمة مثل مكة والمدينة وسبأ وبابل ومصر وغيرها والتي تدل على التطور العمراني وشهرتها "المدن التي اعتبرت منذ عهد بعيد بأنها أعظم أعمال البشر الفنية، فالتخطيط المتعامد للمدن القديمة والخطوط الدائرية التي تحدد معالمها، والجبال الشاهقة المشكلة في الوسط على شكل معابد، كل ذلك يثبت قيمة رمزية تربط منجزات البشر الحضرية بالنظام السرمدي للسماء"

(بورتيوس، 2010، ص127)، ولما كانت البدايات الأولى هي البحث عن البقاء والاستقرار، اتخذ ذلك تجمعا سكانيا متقاربا لكل جماعة مختلفة، وبدا صغيرا ما لبث ان امتد جغرافيا، بشريا، زمنيا، ليصبح تجمعا اكبر يتخذ شكل مدينة او قرية .

وتعتبر العوامل المؤثرة في إنشاء المدن هي عوامل تقترب في أهميتها من كونها ضواغط مهمة في تحديد السلوك الإنساني والاجتماعي ويختلف التذوق عند المتلقي فهو يشترك ببصيرته ومشاعره وأحاسيسه، فأتباع المحفز الجمالي يتبع عملية الرؤيا والإدراك، وتتخذ عددا من الأشكال، ومن ذلك ينشأ الفهم والتجريب وتتنمى الذائقية ويظهر الاختلاف بين البشر وتبدأ عملية المعرفة والتعلم .

"ولا بد من معرفة ان الأبنية ليست فقط ضرورة وظيفية لروادها، بل هي تحقق وظيفة بايولوجية تتوافق مع احتياجاتهم، فالضوء واللون والمكان والفضاء كلها تؤثر في تفسير التفاعل الإنساني مع ما حوله " (فخري، 1989، ص23)، فهي علاقة موغلة في القدم الإنساني باعتبار الكهف هو الملجأ الأول للإنسان وفق رؤية الفيلسوف (مدني صالح)، ان كل بيت للإنسان هو ذكرى للكهف الأول الذي التجأ اليه البشر وهي علاقة فطرية بين الإنسان وكهفه دائما ما يسعى لتطويرها، وقد تطور الكهف ليأخذ إشكالا أخرى وإبعادا جمالية أوسع .

وقد يحقق التطور والتكنولوجي المعاصر رؤى جديدة للنظر الى العالم من زاوية ضياع المركز، وليس بالضرورة ان تصبح التجمعات البشرية مجتمعة بمركز مما يغير نظراتنا لمعنى المركز. (Cooke,1989,p17)، ولأن الإنسان يجنح الى العلم والتعلم دائما وتخض التجربة لأدائه، فأن المعرفة استطاعت ان تعطيه القدرة على تحسين بناءه لمساكنه في غرفها وباحاتها وواجهاتها ومرافقها الأخرى.

هناك عوامل عديدة يمكن ان تؤثر في وجود المدن منها :

1 - موقعها الجغرافي، الذي يمنحها أهميتها ويعتمد التخطيط الحضري لها على الموقع .
2 - البعد الزمني وأصالة وجودها وحضارتها .
3 - الأقوام التي تسكنها والتقدم الثقافي والحضاري فيها .
4 - التقدم المعماري والتكنولوجي ونوع وكمية الأبنية فيها .
5 - التخطيط المميز لأبنية وطرق المدن وفقاً لمصالح الخدمات ورقيها .

"ترجح الآراء ان الإنسان عرف الاستقرار في نوبات ثابتة منذ الألف السابع قبل الميلاد، ان الاستقرار الأول ظهر في قرية جرمو (أول قرية زراعية في التاريخ البشري) اذ كانت تتألف من (24) بيتا ً، وانتشر الاستقرار من جرمو الى بقية مدن وادي الرافدين، ومع تطور القرى الزراعية وعدد سكانها ظهرت المدن في حدود (5500ق.م) في مجتمعات استيطانية حضرية، واهم وأشهر الحضارات التي أقامت مدناً هي الحضارة السومرية التي أنشأت مدناً فريدة في الاستيطان البشري (الدكتور حسين، 1984، ص239)، كما كانت مدينة بابل في وسط العراق مثالاً حياً على قيمة الأبنية والعمائر والطرق والأسوار، فقد كانت تضاهي في بناءها المدن المعاصرة .

جاء الفكر الإسلامي مختلفا عما قبله، فقد كان للرؤية الفلسفية والفكرية أثرا في توجيه المعماري المسلم نحو سلوكيات المدن الإسلامية وصفاتها، فقد اهتم الفنان المسلم بإيجاد تخطيط مدني يراعي

الخصوصية الإسلامية والبيئة المحاطة، وقد أدى انتقال مقر الخلافة من دمشق الى بغداد في العصر العباسي الى تغيير واضح في المؤثرات ومظاهر الحياة الفنية، حيث بدأت تظهر الملامح الفنية العراقية القديمة التي نمت خلال الفن الاخميني والساساني، وقد ادى الى تغييرات جوهرية في أساليب الفن منها، استخدام الآجر بدل الحجر / والأكتاف بدل الأعمدة / والزخارف الجصية بدل الزخارف الحجرية / واستعمل التخطيط المستطيل، اما على مستوى تخطيط المدن فقد ظهر لاول مرة التصميم الدائري، فقد صمم ابو جعفر المنصور مدينته على شكل دائرة كاملة، وان الحصون التي سورت المدينة بأبراج الحراسة ربما نقلت من مدينة بابل المحصنة في العراق القديم ( انظر يحيى، 2004، ص68 -69).

عمل التراكم الفكري والتجريبي عند المعماري المسلم في إيجاد أساليب جديدة في البناء والأعمار واختيار أماكن العمائر وطرق تشييدها، لم يهمل المعمار طرقه وشوارعه بل اعتبرها جزءا من البناء الكلي للمدينة وتخطيطها عبر التاريخ، فجاءت المدن بمعالجات بيئية وحضرية نظرا لخصوصية كل منها، "كان مركز المدينة هو المنطقة الأكثر قداسة، وهنا كانت تقام الأنصاب المهيبة للسلطة الأرضية المفوضة من السماء، وبالطبع فان المركزية وإقامة الأنصاب ظاهرتان كانتا شائعتين خلال المرحلة الكلاسيكية، ثم برزتا من جديد في أوربا الغربية خلال المرحلة الباروكية، وفي الدول النازية والفاشية خلال القرن العشرين، وفي أيامنا هذه تقام الأنصاب في مراكز المدن، وفي عواصم دول العالم الثالث التي استقلت حديثا" . (بورتيوس، 2010، ص129).

وبتطور المجتمعات فكريا وتقنيا أثرا كبيرا على التخطيط الحضري للمدن، فكان لكل مدينة خصوصيتها الفكرية والشكلية التي ما لبثت ان أصبحت ميزة تميزها عن باقي المدن، وبالانتقال الى العصور الحديثة والمعاصرة نجد هناك اختلافا في الرؤية وفي الابتكار، وقد صحب المعماري كل خبرته في تنظيم وتصميم الدول الكبرى ليكون بذلك مصمما من الطراز الأول .

**المبحث الثاني / المعالجات الفضائية والمعمارية في المدن المعاصرة**

1) العلاقة بين المصمم والجمهور

ان وجود المدن وتخطيطها وإنشاء المجمعات العمرانية بها خضعت للعديد من الايجابيات والسلبيات التي أخذت في نظر الاعتبار اما للمعالجة او كخبرة لتأسيس وإنشاء المدن المعاصرة، وان تخطيط وتصميم البيئة هو نظام للإنسان يوفر له الاحتياجات المادية والمتعة الفنية والفكرية الحالية والمستقبلية، والهدف من إبداع التصميم البيئي هو تشكيل المادة والحيز في منظومات تشكيلية ترقى بالإنسان فوق الاحتياجات المادية لتشبع المتع النفسية والاجتماعية والفنية والفكرية. (انظرأ.د.احمد، 2002، ص213). ولما كانت احتياجات الإنسان لإشباع رغباته في إمتاع وجوده ضمن نطاق بيئي نظامي صحي حفزته على التخطيط والتصميم والمعالجة لتتلاءم مع ميوله ووجوده .

ان فن العمارة ذو صلة وثيقة بالمجتمع فيتأثر به ويؤثر فيه، ومن هنا يظهر ان لدراسة الطابع المعماري لمجتمع ما فانه يجب ان يتمثل أمامنا جيدا وبدقة عالية الحالة العقلية العامة والوجداني، كذلك العادات والتقاليد التي تسوده، والتي تساهم في سيادة او إفراز طراز معماري معين . (يحيى، 2004، ص 9).

وتبرز علاقة مهمة بين المخطط ورؤيته للعلاقة بين المجتمع والبيئة والسكان "ويظهر صورة العلاقات الإنسانية في المجتمع الواحد في مدى ارتباط السكان بالأنشطة الجماعية التي تضمها المدينة في مبانيها المختلفة" ( د.عبد الباقي،1982،ص18)، وقد يكون المصمم للمدن ذو خبرة في أهمية تفضيل بنى على أخرى وفي طريقة تصميم المدينة، وقد ترتبط المدن بالأخرى المجاورة عن طريق شبكة من العلاقات والطرق والمؤسسات المعمارية، وقد تفترق وتبقى كل مدينة محتفظة بخصوصية عن الأخرى وكل حسب رؤية وتجربة المخطط . يسجل التاريخ الإنشائي للمدن وتصميمها ان المدينة تختلف مابين مركزها وضواحيها ، وان معظم مخططي المدن قد افترضوا ان التفضيلات العامة سوف تتوافق مع تفضيلاتهم.

ويبقى على عاتق مصمم المدن التوازن والانسجام ومراعاة الظروف البيئية والثقافية للمجتمع . هناك علاقة بين حياة المجتمع ومكان المرفقات العامة، ويمكن ان يلعب المرفق المعماري والبيئي دورا هاما في تنظيم حركة وجود الناس على مر الزمن، ويتفاعل البشر مع المرفقات المجاورة من خلال نوعية التصميم وبرمجة الأنشطة والفعاليات إزاء تلك المرفقات، ان تصميم البيئة المادية توفر اتصالا بين الناس والمكان ويلعب موقعه جزءا هاما من مكونات حياة المجتمع، وان البيئة المبنية تعزز الروابط من خلال توفير فرص للعرض والتعبير عن الرموز المجتمعية ليتكيف المستخدمين مع فضاءات البيئة مع مرور الوقت.انظر( Kimberly; 2003)

هناك قانون يحكم تصميم المدن والذي يراعي حركة ووجود الإنسان والذي يستدعيه نظام وجودهم وقانون نشاطهم وأماكن تجمعهم، كما تتحرك الأفراد ضمن الأماكن الجميلة المحببة او ضمن الأماكن ذات الوظائف النفعية اقتصاديا وفكريا واجتماعيا ويمكن للمخطط ان يوجه الأفراد وفق التركيز على معلم مهم يخدم الأفراد ويقدم المساعدة لهم .

يرى لوكوربوزيه ان مواد تخطيط المدن هي السماء، الفضاء، والأبنية المشيدة الصلبة المحددة بحجم، وما يوازن هذا النظام هو التسلسل الهرمي له، يبحر المستخدم في فضاءات بيئاته المشيدة وتبرز عدد من الاستعارات المستخدمة في تسيير المعلومات التي يبحث عنها المستخدم (انظر TUNGARE, 2001) ، فالمستخدم يبحث خلف الاستعارات عن رموز مهمة يستدل منها على علاقاته بالأبنية المشيدة والمساحات الفارغة والطرقات والعمائر المهمة، وهو يبحث في بيولوجية سلوكه لما يمكن ان يرضيه معرفة وعلما وطرزا فنية .

فالمعالجة السايكولوجية تحقق الهدف وتقترب خطوة من فهم البيئة وما حولها من أثاث، والمصمم الناجح هو الذي يحمل الفكر الإنساني جزءً من استيعابه الفكري وينشط به، ان لدى المصممين والمعماريين خبرة فنية تساعدهم على تخطي العقبات في أثناء تخطيطهم للمدن الحضرية وتصميم أماكنها وبنيتها الحيوية، وقد يحدد لوكوربوزيه اهم سمات تخطيط المدن (الدعوة الى عالمية التخطيط فهي عمومية خالية من السياق والتاريخ، وتقاليد المكان، البيئة، ولابد عند تصميم اي مدينة ان تنظم لتكون هادئة قوية ومتجددة الهواء، كما كان لوكوربوزيه مؤيدا للخطوط المدينية كشبكة من التخطيط الهندسي وأصر على التقاطعات، كما دعا الى توحيد عناصر البناء كالأبواب والشبابيك والإطارات والسقف حتى المسامير، ويرى انه لابد ان تكون المدن متشابهة، وكان الفصل الصارم بين الوظائف المجتمعية التقسيم ) (انظر TUNGARE, 2001).

نظام التصميم المديني يخضع لتجاذب رؤى متعددة منظمة خاصة مجربة تحكم عملية التصميم والتنفيذ والتلقي التي تطغى أحداهما عل الأخرى وتقابلها وفي النتيجة المنفعة والتخطيط المنظم هما مفتاح الانفتاح البيئي والحضري ، ان كسر الجمود والرتابة علاقة مهمة بين البيئة والمدنية حولها، والحادثة الدرامية هي رؤية تعبيرية تتجه بعناصرها الى البيئة وتستلهم منها التقارب الكبير بينها وبين الجمهور الذي يسعى الى بلوغ الكمال لأجل أهمية عيشه في المكان "نحن إزاء حالة معمارية غايتها استيلاء أشكال تكوينية مفعمة بالأحاسيس التعبيرية جراء الانتقالات التصميمية السريعة والتوظيف الخلاق لرسوم الأقبية المتقاطعة "(انظر السلطاني، 2009، ص21).

فالإحساس بجمال البيئة المتداخل مع المعالجات المعمارية وتأسيس الشوارع والطرق والساحات مرهوناً بالرؤية الصحيحة والاستخدام الأمثل للأشخاص في المدينة وملحقاتها والمؤسسات نفعياً، "بالرؤية ولا سيما الرؤية المتسلسلة للمارة الذين كثيراً ما تتكشف لهم مشاهد المدنية في سلسلة من الاهتزازات والكشوف"(بورتيوس، 2010، ص295) .

فالمصمم هو القائد الذي يحفز مخيلة الجماهير ويسعى الى إيجاد البدائل الضامنة للقدرة على الحركة والتفاعل المادي مع التفاعل الحسي الوجداني .

**2) <u>المعالجات البيئية والتصميمية للمدن</u>**

فالتلوث الصناعي هو من صنع الإنسان الحديث والذي ارتبط بأساليب تقدمه وتحضره وهذا ما خلقته الثورة الصناعية ، كما ان نمو الصناعة وازدحام المدن والكثافة السكانية شكلت خطراً حقيقياً على الإنسان وبيئته فصار يدفع ثمن ذلك التقدم العلمي هو وبيئته ، يحاول الإنسان دائماً الدفاع عن بيئته من خلال معالجة الانبعاثات الدخانية والعوادم ومعالجة النفايات ورصد الظواهر ليربط بينها فقد رصد حركة الهواء والمياه واستخدام الأراضي للمعالجة والمساعدة على حل المشاكل ومساعدة مخططي المدن للتحكم بالتلوث وأخطاره (انظر الدكتور حسين، 1984، ص 2270) .

قد نجد أحيانا مدناً تختلف تماماً عن ما كانت عليه سابقاً في قفزات سريعة (مثل مدينة لندن)، فقد أدى التغيير الجذري للمدن الى ضرورة وضع مستوطنات جديدة دون اي رقابة كافية او تخطيط مسبق، وهنا يظهر لنا موضوع الضواحي الحضرية كبديل للتمركز في المدن الكبرى، ومتابعة النازحين والحفاظ علـى الخطط التصميمية للمـدن واهمية ذلك. (انظر Kimberly,2003,)

تبرز عدد من المشكلات المهمة في تخطيط المدن المعاصرة وهي مشكلات تتعلق بنوع البناء وطريقته والتي تبحث عن حلول دائماً لإقامة تجمعات سكانية صحيحة خاضعة لشروط وقوانين المدن النظامية، ومن المشكلات المهمة : -

( 1 - أبنية تعلو كثيراً وتتسابق في عملية الارتفاع

2 - انتشار الاسمنت احد أهم مشكلات القرن العشرين وهو على خلاف الآجر او الحجر فانه لا يصير ناعماً، بل سرعان ما يصبح قذراً قاتماً ولا يعكس الضوء، وان الاسمنت قد غير مناظراً مهمة لمدن مهمة مثل لندن وباريس كثيراً) (بورتيوس، 2010، ص137) .

ولا بد من إيجاد المعالجات الصحيحة لكل من الحالات الخاطئة التي يمكن رصدها من خلال المواطنين او من خلال المخططين الذين يتحملون الدور الأكبر في الاظهارات والتناسب والتركيب في المعالجات الفنية والمعمارية والبيئية.

وقد ظهر عدد من الحلول والمعالجات في تخطيط وتصميم المباني منها : نوعية مواد البناء المستخدمة، سمك البناء، الفناء الداخلي، المقعد او الإيوان (الفراغات المعمارية المهمة)، ملاقف الهواء، النوافذ والفتحات، المشربيات (وهي معالجات معمارية تغطي النوافذ)، أساليب الإضاءة الطبيعية، استخدام العناصر الطبيعية حدائق داخلية وسطوح، معالجة الضوضاء. (انظريحيى، 2004، ص118و134) وهذه المعالجات تساعد على خلق بيئة صحية خالية من التلوث البيئي والتلوث الحضري المعماري .

وإذا كانت المعالجات تتعلق بنوع البيئة انطلاقاً الى التشكيل الظاهري الفني للمدينة، فمثلاً تكون هناك معالجات للأجواء الحارة الرطبة وليس كجو العراق الحار الجاف فالمعالجات تختلف بين الاثنين، كما ان شغف المصمم باستخدام ( المزاريب ) بكثرة غير مبرر للمنطق المعروفة بقلة أمطارها، فان وجد يتطلب تبريراً منطقياً، كما ان استخدام مساحات زجاجية كبيرة للنوافذ يثير استفهاماً عن مدى ملائمته للبيئة المحلية واشتراطاتها. (انظرالسلطاني، 2009، ص23) .

ان معرفة المخطط المعماري لمدينته واكتشاف جوانبها السلبية والايجابية من مناخ الى موقع جغرافي الى تقلبات طقسية الى معرفة بسلوكيات البشر والمجتمع وثقافاتهم وتوجهاتهم تعطي المصمم للمدينة انفتاحاً وخيارات كثيرة تعينه على فهم العلاقة بين كل تلك الأشياء لإقامة خيارات تصميمية مستحدثة تشمل كل الضواغط والظروف، ولنقترب من المدن العربية والتخطيط الحضري لمدننا المعاصرة فإننا أمام عدد من الاعتبارات التي وسمت المدن الإسلامية الشرقية والمعالجات التي لا بد من مراعاتها من قبل المصمم او الفنان، منها: - 1 -اختيار مواقع المدن لاعتبارات صحية ومناخية. 2 -إتباع الحل المتضام في جميع المدينة لتتكتل المباني وتتراص. 3 -ضيق الشوارع وتعرجها ليؤدي الى عدم تعرضها لأشعة الشمس المباشرة. 4 -تسقيف الشوارع وبروز الواجهات وتسقيفها لتمنح ظلالاً أكثر للمدن. 5 -مراعاة الجوانب الصحية كالمياه النظيفة والعناية بشبكات الصرف الصحي والنظافة العامة للمدينة وارتباطه بالتخطيط العمراني العام للمدينة. 6 -أما القمامة فتسخن بها مياه الحمامات العامة. ( انظريحيى، 2004، ص 102 -103 -104)

ان حركة المدينة وفضاءاتها وحركة مواطنيها المشاة وراكبي السيارات لا تخلو من ضعف للعلاقة بين العمارة والمتحركين حولها باختلاف وسائط النقل، والتي من خلالها يمكن رصد الرؤية البصرية لعلاقات المدينة والأعمال الفنية المنصوبة فيها. "ان قابلية الإنسان على التحرك وبالتالي على تحريك العناصر الطبيعية وتغيير أنظمتها هو بعينه منطلق الاختلال الذي اخذ يصيب هذه الأنظمة وبالتالي الكيانات البيئية، والا فان جميع هذه الكيانات وكما أسلفنا تتحرك وتتغير ذاتيا وتوافقيا بصورة مستمرة ولكن ضمن نطاق الاتزان او الاستقرار البيئي" (الدكتور حسين، 1984، ص324).

ولما كان الفكر مستمر بإبداعاته فقد أوجدت فنون ما بعد الحداثة أهميتها في كونها خرجت عن حدود المناطق والتفكير العلمي الى تحديات أكثر جرأة وإصرار، ففي نقد للاتجاه ألتدميري احدث الاتجاهات المعمارية التفكيكية، احدث موضة للمهندسين المعماريين، تكشف عن حقيقية جميع تيارات الحداثة، والتي

هي مدمرة للمدينة، والمجتمع والثقافة الإنسانية في الواقع أنتجت مدن غير صالحة للعيش، ضجيج متواصل، تدمير للمصفوفة الطبيعية، وبالتالي فان المجتمع المتقدم أصبح كابوسا، المباني مشوهة وخطيرة" (Salingaros,2006,p2)، فالعلم والمعرفة علامة ضرورية للتقدم والسمو بالفن والعمارة، والنفس البشرية تسعى دائما لوضع قراراتها واستغلال الطبيعة والبيئة في تحسين مدنها وتجميلها، إنها سلسلة من التعديلات للوصول الى التمدن الحديث بعلمية، انها علاقة أزلية تفاعلية تمنح الإنسان حق التلاعب مع بيئته وفق تجارب منهجية ومعالجات ضرورية

3) تخطيط المدن المعاصرة

تفاعل الإنسان وحقق عبر العصور علاقة وثيقة بما يحيطه من بيوت وقصور ومعابد وانعكس على تجمعاته ومدنه والتي تطورت رؤيته إليها عبر مراحل تحضره ونموه، حتى شهدت العلاقة بين الإنسان وبيئته العمرانية قفزات وتحولات كبرى عبر التاريخ، وقد تطور التخطيط الحضري للمدن وفق العديد من التحولات كزيادة السكان والتطور الاجتماعي، وتغير أنماط العيش والسلوك الاجتماعي وغيرها من الضواغط المهمة المؤثرة في نشاط الإنسان وتوجهاته، قد ساعدت على التركيز على نمو المدن بطرقها وساحاتها ومؤسساتها المختلفة.

ان "المعالم المعمارية والعمرانية هي إفراز طبيعي للتفاعلات الحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل مرحلة من فجر التاريخ وحتى العصر الحديث، ومن ثم يمكن استقراء طبيعة التفاعلات وما سوف تفرزه مستقبلا"(د.عبد الباقي، 1980، ص2) وتقود التفاعلات الى الضغط باتجاه النمو الاجتماعي والحضاري للأمم ، وبازدياد نمو المجتمع والأفراد قد تسبب ذلك بإرباك للمجتمعات الحضرية التي وجدت قبل هجرة السكان الجدد إليها، (أشار الباحث الشهير الفن توفلر الى ان ظهور التقنيات المعلوماتية الغنية بالمعارف يمثل ما اسماه بالموجة الثالثة (The Third Wave) في دورة حياة المدن. ولذا فان المعرفة تمثل موردا هاما وحيويا للمدن المعاصرة)( Shuichi,2011,pN ) ويمكن ان تطبق المعارف على أسلوب وطرق تشييد المدن وتنظيمها وفق تصميما معاصرا يرضي ذائقة القرن العشرين ويأخذ في نظر الاعتبار خصوصية المدن في تخطيطها الحضري، وان لخصوصية المدن العراقية أهمية في تنظيم الشوارع والفضاءات وفق مبادئ الحداثة وما بعدها.

**المبحث الثالث: الحوار البصري بين فن الخزف والعمارة**

عندما بدا إنسان الكهف الأول في وضع لمساته الوجودية على جدران كهفه افصح عن علاقة وجدانية بينه وبين جدران ذلك الكهف ليعلن عندئذ عن أثره وحضوره التاريخي، وبين الجدران المحيطة به التي تآلف معها ووظفها لتكون جزءا جماليا من عمارته (من كهفه)، لم يحاول الفنان في كهفه ان يخرج عن اطر الطبيعة وجمالياتها لأنه أحس بانتقائه لها، وعبر بمسؤولية كبيرة عن توثيق العلاقة بين جدران كهفه واحساسه وتفسيراته وتداخل رؤيته واستثارة خياله "هذه الصخرة لم تهيأ أبدا ولم يسوّ سطحها، كانت تستخدم دائما حسبما كان شكلها، دعامة حية تقريبا، حيث ان ما فيها من عدم انتظام وخشونة وتحدبات وتقعرات، وتفاعل بين التجاويف والبروزات، كان ابعد من ان يعيق الفنان، بل أرشده وألهمه، فالصخور بما فيها من أشكال طبيعية تستثير في الذهن ارتفاعا وانخفاضا من جهد الحيوان او الصورة ن في وجهه او رأسه او بطنه والذي على الأغلب يمنح الصورة ظهورها " (روجرز، 1990، ص28)، فاستثارت الطبيعة أفكار وخيال

الفنان، ووظفها والبيئة حوله على شكل جدران لمسكنه وكجزء من الرؤية الجمعية للعلاقة بين الفنان والعمارة والبيئة .

تنامي التحالف الشكلي بين العمارة والخزف بعلاقة تجاور شملت التآلف بين تكوينات ومواد الخزف وبين جدران العمارة بكل أنواعها، وقد أصبح من الخزف مكملا مهما لتزيين والتجميل المعماري عبر العصور كما كان ايضا مثالا للقوة والمتانة المساندة والمؤسسة أحيانا للجدران ليكون الجدار المعماري متحولا الى قطعة فخارية او خزفية ضمن جمالية الشكل المعماري وإنشاءه، وقد برزت العلاقة بين الخزف والعمارة منذ العصور التاريخية الأولى في سومر بدءا بالجدار الفخاري الملون بالأوكسيد والذي كان عبارة عن مخاريط فخارية ملونة بالأسود والأحمر والأبيض مكونة زخرفة متنوعة التشكيل، كونتها رؤوس المخاريط الملونة، وكانت تلك الجدران للمعابد الكبيرة بمثابة تكوين معماري ملون متشكل من الفخار وتوالت الأعمال الفخارية والخزفية على جدران العمائر لتنتهي في العراق القديم بظهور شارع الموكب وبوابة عشتار التي تشكلت بعدد هائل من الفخار المزجج الملون والمنحوت بأشكال حيوانية و زخارف مختلفة، وقد تحدت تلك الجدران الزمن منذ الألف الأول ق.م وحتى الوقت الحاضر، اذ ان عوامل الزمن والتقادم التاريخي لم يؤثر على أشكالها وقيمتها بل أصبحت قيمة محافظة على جدران القصور والعمارة مدعمة لها، ان ذلك التشكيل المعماري الخزفي يوضح العلاقة العميقة والأزلية بين فن الخزف والعمارة .

وبالانتقال الى الفن الإسلامي يظهر أهمية هذه الحضارة وعلاقتها بالعمارة والفن والبيئة حولها ( ان أهم معالم الحضارة الإسلامية عمارتها، فعمارة المدينة بالنسبة للمجتمع اشبه ما تكون بالكساء بالنسبة للفرد اذ يعبر عن شخصيته وما يظهر بالمدينة من حيث تخطيط الشوارع والأسواق والمباني العامة كالمساجد والمدارس والأضرحة، والمهم في كل ذلك هو التوازن والانسجام بين أجزاء المدينة ومرافقها ) (الدكتور سعد زغلول، 1986، ص207)، لقد اقتحم فن الخزف فن العمارة الإسلامية بشكل كبير جدا في تزيين الجوامع والقصور والأبنية وتنوعت أشكال الخزف و زخارفه المنقوشة على بلاطات الخزف

تنوعت الزخارف الملونة في البلاطات المعمارية الإسلامية، فقد زخرفت قبيبة محراب جامع القيروان ببلاطات خزفية مزخرفة بالكرمة الملونة بالذهب على أرضية سوداء، وكان المحراب محاطا على مستوى العقد بمستطيل عريض من بلاطات البريق المعدني الأبيض المشوب بصفرة، مما يظهر فيه تأثير زخرفة سامراء والتي امتازت فيه بالجدران المبنية بالطوب والآجر والخزفيات كسمة للعمارة العراقية بالذات . انظر (الدكتور سعد زغلول، 1986، ص297)

وفي عصر النهضة ارتبط الفن بالعمارة و بالأخص الكنائس والقصور التي شهدت تنوع في الفنون "كان فن العمارة في عصر النهضة يهتم بخدمة أغراض الكنيسة، وكانت الكنائس أنيقة حافلة بالمهارة في التوازن والدقة في بناء العقود والطلعات واختيار موقع التماثيل، وهناك أفاريز منحوتة ونوافذ زجاجية ملونة" انظر (د.سعد علي، 2009، ص18 -19).

أصبح فن الخزف جزءا من التكوين المعماري المعاصر كالنصب الخزفية والجدران الملونة بالطلاءات "فالجدران ازدهرت معماريا مع ازدهار المدن، اذ أصبح الجدار أكثر ثراء بالفنون الإنسانية والمعمارية" (بدر، 1997، ص43) فالحوار البصري الذي يحرك مدينة بغداد في علاقتها المتأصلة بالتاريخ وعلاقتها

المحدثة، تخلق تنازع في تخطيطها الحضري بين التوسع المديني وأصالة الوجود، وبين الاندماج الثقافي والبزوغ الفني وما تتركه مظاهر البيئة من ظلال على الجمهور المتلقي وعلاقته بالتأسيس الحضري لمدينة بغداد.

**الفصل الثالث: إجراءات البحث**

**مجتمع البحث:** شمل مجتمع البحث النصب الخزفية المنصوبة في الساحات العامة لمدينة بغداد، والتي وجدت في اهم الساحات، لتحقيق العلاقة بين النصب وتخطيط المدينة.

**عينة البحث:** تم اختيار 6 نماذج من النصب الخزفية المنتشرة في ساحات بغداد، وقد تم اختيارها كونها وضعت في ساحات مهمة في بغداد في مركز المدينة، وشكلت تلاقي مهم مع الجماهير المشاة والراكبين، وتداخلت مع التشييد المعماري للساحات والعمائر حولها.

**منهج البحث:** اعتمد المنهج الوصفي في تحليل النماذج عينة البحث.

**تحليل نماذج عينة البحث:**

النماذج (1،2،3،4) نماذج خزفية جدارية تنتصب على أربعة أضلاع لبناء معماري متوازي مستطيلات هندسي يحتوي بعض التفاصيل ونصبت الجداريات في منتصف كل ضلع من الأضلاع الذي يحتوي عددا من الشبابيك الصغيرة المنتظمة بصفوف والمصممة على شكل أقواس، الجداريات الخزفية غير متماثلة الشكل والتصميم .

انموذج(1)

للخزافين قاسم حمزة ، سلام عطا ،مؤيد نعمة/ بغداديات 45م ، المصرف العقاري، 1980

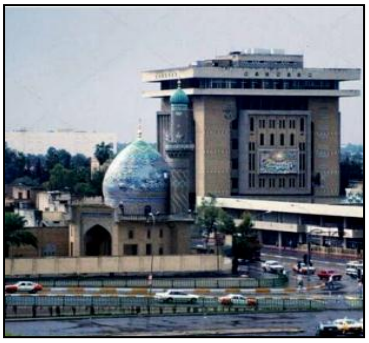

يبدأ المحور الأول ذهابا لمركز المدينة من مجمع الصالحية باتجاه جسر الجمهورية فتكون الجدارية الأولى باتجاه النظر والتي يمكن رؤيتها من جسر السنك بواسطة وسائط النقل والسابلة ويمكن مشاهدتها للمشاة القادمين باتجاهها او باتجاه كل المرافق المدينية الموجودة قربها، ألوان الجدارية زاهية وعنوانها دلالة على المدينة (بغداديات) وعناصرها في الداخل تجريدية تتمثل بالأقواس المختلفة الرؤوس، ألوانها الغالبة الأصفر الفاتح والأزرق ليحاكي أجواء المدينة وتراثها الفكري وضعت الجدارية في وسط البناية بالجزء الأسفل

لتكون اقرب للرؤية وإدراك تفاصيلها، تشرف الجدارية على مرافق عديدة في مدينة بغداد في مكان مطل على مجمع الصالحية وجسر السنك ومحافظة بغداد وفندق المنصور ميليا، ويبقى المشاهد في مجال الرؤية مرورا بالشارع الرئيسي التي تطل عليه وتختفي زاوية الرؤية باتجاه مركزية الشارع ليظهر الشارع العام.

انموذج(2)

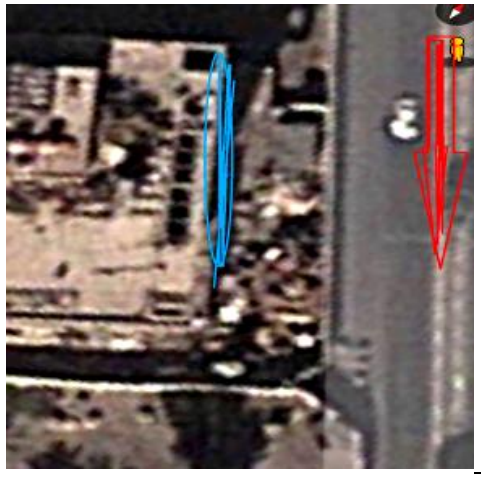

انموذج (2) للخزافين شمس الدين فارس ، عبد الحميد الدراجي /العطاء 40 م،المصرف العقاري 1980

وهنا تظهر في مجال الرؤية الجدارية الخزفية الأخرى، والتي تطل على الشارع، تتركز وسط البناية وتبدو ظاهرة عند دخول الشارع وتقل زاوية النظر حتى نهايته، ترسم الجداريتين المعلقتين على أضلاع البناية زاوية كاملة يتتبعها المتلقي نزولا من الجسر او من شارع الصالحية حتى انتهاء الشارع باتجاه جسر الجمهورية ، الجدارية مستطيلة ذات ألوان براقة واضحة كالأحمر والأزرق والأبيض، وضعت الألوان بطريقة مباشرة صريحة، انتشر اللون الأحمر بصورة متناسقة مع باقي الألوان لكن بوضوح عالي كما كان للون الأزرق حضوره الطاغي بجمالية تنسيقية ثلاثية مع اللون الأبيض والتبني ، ان موضوع الجدارية الذي يمثل العطاء، يمثل رجل وامرأة، ونهرا دجلة والفرات، وقباب ومدينة بغدادية زاخرة بالأصالة والتراث، قوة الألوان وحركة الأشكال داخل حدود الجدارية مزجت بين حركة المجتمع وواقعه، وبين قيمة الأشكال داخل الجدارية، وصارت كأنها قطعة من واقع الشارع المعاش، جاء الموضوع تعبيريا مع تجريد في بعض الأشكال متلائما مع الذهنية العامة وسلوك المجتمع المتحرك، في تقاطع الشوارع وامتثال الفكرة مع الواقع، يبقى السؤال هل حققت هذه الجدارية في الموقع والحجم تناسبا مقبولا لدى الجمهور، وهل للخزاف دور في اختيار الموقع الملائم ؟

الأنموذج(3)

انموذج (3) الخزافة عبلة العزاوي / بغداد المدورة ،50م ، بناية المصرف العقاري 1980

تتحرك بناية المصرف العقاري أمامنا، ففي وجهها الثالث انتصبت جدارية لتمثل جدارية بغدادية نصبت في الجهة المقابلة لمجلس النواب، تتوسط بناية المصرف العقاري، وقد يتخذ الموقع بزاوية رؤيا أولى تبدأ من جسر التحرير باتجاه المنطقة الخضراء والثانية من المنطقة الخضراء باتجاه جسر الجمهورية والثالثة من جسر الجمهورية باتجاه مجمع الصالحية والرابعة من جسر السنك ومجمع الصالحية باتجاه المنطقة الخضراء وقد تكون هذه الجدارية الأقل حظا من الجداريتين السابقتين بالمرور وحركة البشر لأنها تقع في الضلع الثالث المقابل لمجلس النواب ، رغم كثرة المرور والسابلة الا انه ربما تكون الجداريتين الأخريين أكثر تفاعلا مع حركة الجمهور واقترابا منه، نفذت الجدارية بشكل عمودي، ومن قياساتها تدل أنها مستطيلة الشكل، وقد رسمت مفرداتها علاقات خاصة لمدينة بغداد بقبابها ومياهها وسمائها وأرضها ومبانيها وكأنها قطعة تحاكي تخطيطا حضريا على قطعة خزفية ملونة.

وكأن الخزافة تريد إيصال فكرتها عن بغداد حاضرة العراق وتنقل صورة مصغرة للمدينة وتضعها كصرح إعلاني يوضح بنية مدينة بغداد، جاءت الألوان هادئة مرحة ترسم شكل مدينة منعمة، في أسفل الجدارية تمايلت موجات نهر دجلة زرقاء المتداخلة، لتستمر الى الأعلى تفاصيل وخريطة لمدينة بغداد المدورة كأنها من الزمن الغابر الإسلامي، شرعت الأبواب والأسوار والأقواس والطرقات والمدينة تحت وكأنها تضج من الداخل بالحياة لتنتهي في الأعلى بقبة زرقاء كبيرة مفصصة ترتبط مع السماء أيضا بسماء بغداد الواقعي باللون الأزرق في الأعلى المنطلق نحو السماء، ليبرز في احد أركانها هلالا في حالة شروق تعبيرا عن الأجواء الإسلامية التي تصطبغ بها مدينة بغداد المدورة التي أسست في زمن هارون الرشيد.

يرسم الجدار علاقة متوازنة مع الطرقات والأبنية حوله، رغم انه يقع في جدار البناية الثالث من الجهة الأخرى الا ان حركة المشاة وحركة السيارات ذهابا وإيابا باتجاه الجسر الجمهوري تجعل الجدار في علاقة مباشرة مع المجتمع والمشاهد، والموضوع المتناول للجدارية احد المواضيع الجمالية التي تنقل الواقع ومحاكاته، ونتساءل الى اي مدى يقترب هذا النموذج من النماذج الأخرى في نسبة المشاهدة والتفاعل معه؟، في موقعه، في حجمه، في ألوانه، في موضوعه، في ارتفاعه والبناية والواجهة التي هو فيها، هل حقق تفاعلا مع الجمهور ؟؟؟

الانموذج (4)

انموذج(4) : الخزافة نهى الراضي ، اسوار بغداد ،10×5م ، بناية المصرف العقاري /1980

ثم ننتقل الى خلف البناية باتجاه الأحياء والبيوت، الشكل الجداري مستطيل عرضي الشكل يمثل مدينة بغداد المسورة اذ تتخذ من ضلع البناية الرابع مستقرا لها في منتصفها وتطل من الجهة الأخيرة على البيوت الخلفية التي تحيط بالبناية، فالواجهة الأخيرة لا تطل على المدينة او شوارعها العامة، ولا يستطيع الجمهور المشاة او الراكبين من النظر إليها، العمل الخزفي هادئ الحركة يمثل بوابة مدينة بغداد وأسوارها مرسومة بعناية ومقرنصة، تظهر بوضوح البوابة الكبيرة التي تمثل مدخل المدينة والتي ترتبط بأعمدة مدورة كأنها قلاع حراسة، ثم يلتصق بها سورا متعرجا مخططا وكأنه يحمي المدينة التي تناثرت قبابها بالداخل وارتفعت سماءها ونخيلها ومآذنها وملئت الزرقة سماءها وبزغت شمسا حمراء في الوسط، ثم يتوسط السماء (بساط الريح) في المساحة الواسعة التي ترتبط بسماء الواقع في بغداد، ويحاكي بساط الريح قصص حكايات ألف ليلة وليلة في سماء بغداد القديمة الحاضرة .

جاءت الألوان هادئة متناسقة متدرجة تعلن عن هدوء وسكينة ومدينة مستقرة، تداخل النموذج الجداري مع شكل البناية وتوحد معها وكأنه جزءً من المعمار المشيد، وكان الجزء الخلفي للمبنى يطل على الأحياء مناسبا لهدوء الجدارية ووقعها الساكن، ونتساءل هل كان موقع الجدارية ملائما، هل اقتربت من المشاهد وحاورته، كيف كانت من موقع المدينة وتصميمها ؟

االانموذج(5): النموذج الخزفي في شارع حيفا

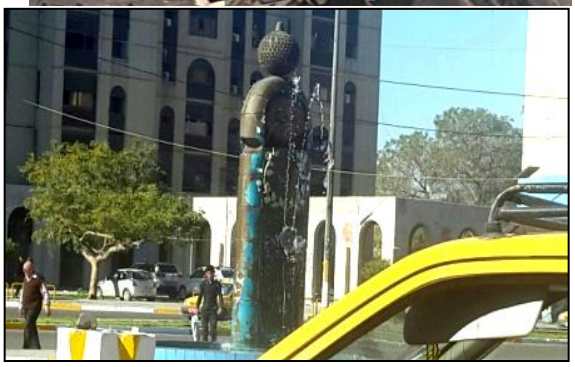

انموذج (5) الخزاف سعد شاكر ، خضر الياس ، شارع حيفا ، 1980

الذي يمثل عملا نصبيا مدورا في احد ساحات شارع حيفا يقع في تقاطع الساحة الأولى بعد نزول جسر باب المعظم وتلك الساحة كبيرة الحجم مفتوحة الفضاء بالرغم من وجود البنايات الشاهقة التي تمثل الشقق السكنية ذات الطوابق المتعددة، الا ان المخطط الحضري للمدينة حاول ان يعالج من خلال هذه الساحات فضاءات هذا الشارع المزدحم بالبشر والعمارات، فهو موقع حيوي يمثل احد مراكز المدينة المهمة وهو تقاطع يربط عددا من المنشآت المدنية والمرافق الاجتماعية والسكانية بعدد من الأحياء والطرقات العامة والفرعية، تقسم هذه الساحة وفق تخطيطها المديني الى عدد من الساحات الملتصقة والمتفرقة أحيانا بتقاطعات الشوارع العامة العريضة جدا، وتتصل من أجزائها الشمالية والجنوبية بعمائر شاهقة تمثل العمائر البيضاء العالية والعمائر الأقل ارتفاعا في الجزء الجنوبي للساحة وهي باللون الاسمنتي الغامق، والتي تقع على طرفي الشارع الى التقاطع الأخر، وتمتد العمارات الشمالية بالارتفاع والامتداد من ساحة الطلائع الى جسر التحرير بنفس الارتفاع والتشكيل الا ما ندر منها.

ان فضاءات هذه الساحة المفتوحة والتي امتدت على مسافة كبيرة من المكان سمحت للرؤيا وللانفتاح البصري للمشاهد ، ومما زاد في انفتاح المساحة هو الشارع الغربي فهو مباشرة يرتبط بجسر باب المعظم والنهر، فالفضاء واسع متحول متغير على مد البصر، بينما يمتد الشارع الشرقي باتجاه منطقة مفتوحة وفضاءات واسعة في منطقة الطلائع فهي منطقة قديمة التشييد وبيوتها صغيرة العمران وقديمة فالإيحاء بالعمق الفضائي واسعا

جدا هنا، يقع نصب خضر الياس في التقاطع الأول عند نزول الجسر في احد أركان حديقة صغيرة كونّها التقاطع(هناك اربع حدائق صغيرة كونها التقاطع تشكل زاوية واركان، الانموذج مجسم خزفي تجريدي بشكل اسطوانة مضغوطة من الجانبين محدبة من الأعلى وكأنها احد المسلات العراقية القديمة، بانحناءاتها وطريقة بناءها، يرتكز في قمة الانحناء من الأعلى كرة منتظمة مثبتة في الأعلى، مزخرفة بنتوءات صغيرة متساوية على سطحها، ولون الانموذج الخزفي باللون الشذري الذي يعتبر رؤية عراقية تراثية أصيلة مرتبطة بالثقافة العراقية وبالحضارة، وهي غائرة في القدم ربما تذكرنا ببوابة عشتاراو بالقباب الإسلامية، ولان النصب معنون بالرمز الديني (خضر الياس)، ولان المنطقة التي تقع تحت الجسر قرب النهر بها موقع يسمى (مقام خضر الياس) تزوره الناس للتبرك، فقد جاء العمل الخزفي معادلا لموضوعة التبرك والنذور، وكثر التأويل عن ما يعنيه هذا الانموذج، فتأول أحيانا إنها امرأة تذهب الى مقام خضر الياس، او ربما قاعدة وقمة لشمعة يراد رميها في الماء (حسب المعتقد فالناس تضع الشموع في قاعدة صغيرة من الورق او البلاستك وترسلها يبطئ الى الماء لتذهب بعيدا في نهر دجلة تحمل الدعاء والطلب)، وعلى كل حال فالانموذج قريب من الجسر، وان مدارك الرؤية الأكثر إطلالة وعمق هي التي ترتبط بالجسر، قاعدة العمل صغيرة الحجم، وقد شيدت نافورة صغيرة قربه، ان حركة الذهاب والإياب ترتبط بهذا النصب، فهو في طريق الزائرين القاصدين الى مقام خضر الياس، يربط الطريق الى جسر الصرافية إيابا، ومن الصرافية الى عمق شارع حيفا ومرافقه الاجتماعية والعمرانية والى شارع الطلائع ذهابا وإيابا، ونتساءل، لماذا لم يوضع هذا النصب الخزفي في منتصف الساحة، بل في احد الأركان من المسؤول هل الخزاف، ام المصمم، ام الإدارة والإشراف ؟

انموذج (6): عمل خزفي في منطقة الشواكة ( شارع حيفا )

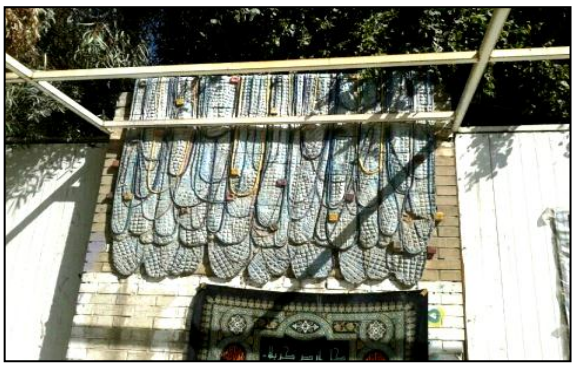

انموذج (6) للخزافة نهى الراضي، شبكة دعبول السماك الشواكة قرب النهر،شارع حيفا /1,50×2,25 م 1986/

الانموذج يمثل نصب جداري أقيم على جدار خاص نفذ لأجل النصب ليمثل جدارا واقعيا افتراضيا يحاكي الجدران التي يضع الصيادون عليها شباكهم بعد تصفيفها وترتيبها حتى تجف، وكي لا تتشابك وتتداخل فلا يستطيع الصياد استخدامها.

موقع النصب الخزفي الجداري قرب نهر دجلة عند منطقة الصيادين، جاء النصب باللون الأبيض المزرق الذي يمثل ألوان الشباك المملوءة بالماء، والتي تراصفت بشكل انحناءات طويلة تمتد من الأعلى الى الأسفل كطيات احدهما فوق الأخرى، وقد ظهرت عليها تقاطعات الشباك ونوافذه الصغيرة المربعة المطبوعة على طينة الخزافة وطويت فوقها على كل الطيات عدد من الانحناءات التي تمثل الحبال الملونة بالأصفر والأخضر والبني، والتي يرتبط بها الصياد وشباكه كي تتصل ببعضها حتى يتمكن من سحبها عند الانتهاء، ولصقت فوقها متناثرا قطع مربعة الشكل بالأصفر والأحمر والبني تمثل طوافات الشباك التي تبقى اعلى المياه كدليل للصيادين، جاء الجدار الخزفي واقعيا بامتياز يتدلى وكأنها شباك الصيادين المنتظرة على الجدران بعد يوم منهك من الصيد وهي جاهزة للاستخدام، نصب الجدار الخزفي في مكان مفتوح قرب موقع الصيادين هناك عند النهر وقرب الأشجار المحيطة بالنهر وكان هذا هو مكان الشباك الازلي الموقع ضمن حركة المارة والمجتمع، يمثل علاقة وجدانية حسية تقع في داخل انتماءات الإنسان العراقي لبيئته وثقافته ومعيشته، فبالاقتراب من نهر دجلة ووجود المدن عند حواف نهري دجلة والفرات الزاخرين بالعطاء، يصبح ارتباط مجموعة البشر بالنهر مهما عميقا وجدانيا بيئيا حسيا ومعاشا، فاعتماد الناس على صيد النهر مهم للجميع ، صمم فضاءا خاصا ليحيط بالعمل الخزفي، فهو مهمة المعماري والمشرف على تخطيط المدينة لان هذا النصب بفكرته وتنفيذه يحتاج الى ذلك الفضاء قرب النهر للدلالة على الفكرة أولا ولإيضاح قيمة النصب وتوضيح معالمه ثانيا، فقد برزت طيات الشبكة بأفضل وجه تماثلا مع الفضاءات المحيطة التي أعطته قيمة خاصة .

**الفصل الرابع: النتـائـج**

1 - تنوعت نماذج الخزاف فمنها ما كان تشكيلات جدارية النماذج (1 -2 -3 -4 -6) تتخذ من جدران المباني مساحة لها وترتبط بها وبفضاءاتها وتتقارب لونا وشكلا معها، وتكون ذات وجه واحد، ومنها ما وضع ضمن التصميم المديني الحضري لمدينة بغداد وكان مجسما ذو ثلاثة أبعاد انموذج (5) الذي يشكل مع الفضاءات حوله علاقة متبادلة موجبة او سالبة .

2 - انتقل الخزاف في مواضيعه من المواضيع الواقعية الطبيعية التي تكون البيئة الطبيعية مادة لها وتتخذ رؤية المدينة وتفاصلها هدفا لها انموذج (3،4،5،6) فهو ينقل واقع مدينة وجماليتها .

3 - حققت بعض الأعمال الخزفية المنصوبة في الساحات وعلى العمارات العالية حضورا عاليا بالنسبة للمتلقي والمشاهد الراجل وفي وسائط النقل، اذ كانت مواقع النماذج الخزفية مناسبا للرؤية وفي المكان الصحيح انموذج ( 1،2، 5 )

4 - عمد الخزاف الى الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة من أعماله ولم يتوقف عند الحدود الخارجية والتفاصيل الكبرى، انموذج (1،3،4،6) فلم يعر اهتماما للعلاقات المكانية وأثرها في حسابات الرؤية ، كما أهمل أحيانا التناسب وفقا للمسافة والفضاء.

5 - اهتم بعض الخزافين باستقراء سايكولوجية المشاهد لتنفيذ أعمالا تقع عند نقطة الالتقاء بين الجمهور والعمل الخزفي والفنان، وتكون معبرة عن فكرهم وخصوصيتهم انموذج (5 ، 6) والتي جاءت تحكي قصة عقائدية فكرية، او حياتية مادية .

6 - أحيانا لم يحاول الخزاف الوقوف عند مجاورات العمل الخزفي والاهتمام بها لإظهار موضوعه بصورة مناسبة انموذج(5) مثلا كان الأجدر ان يوضع على منصة عالية لإظهار تفاصيل الشكل ومنحه هيبة ورصانة او نقله من هذه الزاوية التي توجه الرؤية الى مرتادي الجسر نزولا فقط ووضع العمل في منتصف الساحة وتهيئة مكان مناسب أكثر للسيطرة على الشوارع المتقاطعة وحركة المارة .

7 - تناولت المواضيع التعبيرية في إعداد خطاب موجه الى الجماهير كل حسب وقته وزمانه ومكانه، فمنها ما اهتم بمدينة بغداد حاضرة تراثية انموذج (1،3،4) ومنهم من اعتبر التعبير بالرموز المستقاة من الواقع انموذج( 2)، ومنهم ما كان التجريد التعبيري ملاذا لخطابه انموذج(5)، او من استخدم الجزء ليعبر بالكل انموذج (6) في استعارة واقعية تناولت أحوال ساكني هذه المناطق وسلوكهم اليومي .

**الاستنتاجات**

1 - تشكل النماذج مع الجمهور علاقة مهمة في قيمة وجود العمل الخزفي ومواقع تواجده، وقد يسمى المكان تبعا لنوع العمل المنصوب فيه، او قد تكون هناك علاقة وثيقة بين المكان وتوصيفه بالنسبة للانموذج الخزفي.

2 - يصبح التعبير عن المواضيع الحياتية المعاشة هدفا يلجأ اليه الخزاف لإيصال رسالة ما وتوضيح فكرته وبالأخص عندما يرتبط العمل مع المكان بعلاقة تواصل .

3 - لم يعر الخزاف اهتماما لملائمة تفاصيل العمل الخزفي للمنشاة العمرانية حوله، وقد جاءت بعض الأعمال بتفاصيل دقيقة جدا لا تتلاءم مع حجم العمل وموقعه وارتفاعه عن مستوى النظر ، وطريقة أبصاره من قبل المتلقي .

4 - ظهر ان حجم الأعمال الخزفية ليست مناسبة بما فيه الكفاية لتشغل مساحة مهمة من الجدران حولها او من الفضاءات المحيطة، وكان الاوجب ان يحاول الخزاف صنع نماذج كبيرة تتلاءم مع ارتفاعات الأبنية المحيطة او الأبنية الساندة التي يقف عليها الانموذج .

5 - لم يخرج الخزاف عن نمط النماذج التقليدية من شكل وبناء نماذجه شكلا ولونا وتعبيرا أحيانا، بما يحقق الدهشة والوقوف إزاء النموذج لقراءته، بل جاءت النماذج تقليدية .

6 - انفصل الخزاف أحيانا عن بنية المدينة العمرانية فلم يدرس الخزاف والمعماري المكان والفضاء وعلاقة العمل الخزفي بالتفاصيل المعمارية حوله، فقط اكتفى الجميع بنصب الأعمال في أماكن مقترحة ثم دارستها، ولكنها لم تكن ضمن البنية المعمارية الأساسية بل جاءت مضافة إليها .

7 - لم يهتم المعماريون ومخططو مدينة بغداد المعاصرة بوجوب إدخال النماذج الفنية الخزفية كجزء من بنية المدينة الحضرية، كونها مهمة لتنقية الذائقية العراقية، ولم يهتموا بمشاورة الفنانين وذوي الاختصاص بحركة فن الخزف ضمن تصميم الشوارع والساحات وحركة المارة على الجسور وبالطرق الرئيسية وبين الكرخ والرصافة .

**المصادر العربية**


- أ.د. احمد عوض، دراسات بيئية، دار نوبار للطباعة، القاهرة ، مصر، 2002.
- بارو، اندريه، بلاد آشور ،تر:دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980.
- بدر عبد الملك، الإنسان والجدار، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ،ط1، 1997 .
- بورتيوس،ج.دوجلاس، علم الجمال البيئي أفكار وسياسات وخطط، تر: عارف حديفة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ،دمشق،2010.
- د.سعد علي يوسف و د.إيلاف سعد البصري، الفن في عصر النهضة، مجموعة دار الهنا للعمارة والفنون،بغداد، 2009.
- د.عبد الباقي إبراهيم و د. حازم إبراهيم، المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي، مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية، فبراير،1980 .
- د.عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة،1982 .
- الدكتور حسين طه نجم والدكتور علي البنا والدكتور عبد الإله أبو عياش، البيئة والإنسان، الناشر وكالة المطبوعات الكويت ،ط3،الكويت، 1984.
- الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشاة المصارف بالإسكندرية، مصر، 1986.

- روجرز، فرانكلين ر. ، الشعر والرسم، ترجمة مي مظفر، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد، 1990 .
- السلطاني، د.خالد ، عمارة ومعماريون، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، 2009.
- فخري خليل، مائة عام من العمارة الحديثة، الموسوعة الصغيرة، 331 ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،1989.
- يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، العدد304، الكويت، يونيو 2004.

**المصادر الأجنبية**

- Cooke, Catuerine: Russian Precursors, Deconstruction, Omnibus, Vol. London, Academy Edition1989. Kimberly, L. Rennick , Process: A Strategy for Developing Community Life and Place Attachment, Blacksburg, Virginia, May 2003
- Professor (em.), Dr. Uno Svedin, Urban Development and the Environmental Challenges – "green" systems considerations, The Stockholm Resilience Center, Stockholm University,2015
- Salingaros, Nikos A., Architecture-Urbanism: A Theory of Architecture ,2006
- Shuichi, Fukuda,"Emotion: A Gateway to Wisdom Engineering", Springer London,2011TUNGARE, AMlT, LE CORBUSIER'S PRINCIPLES OF CITY PLANNING AND THElR APPLICATION IN VIRTUAL ENVIRONMENTS , Master of Architecture , School of Architecture Carleton University, Ottawa, Ontario, May, 2001

# Ceramic Art and Urban Planning for the city of Baghdad

.....Angham Saadoun Taha
**College of Fine Arts / University of Baghdad**

Ceramic art associated with urban growth in the cities, it overlapped with architectural construction, the increasing of population, urban growth, knowledge, and civilization was considered ceramic arts as an important aesthetically architecturally complement in the cities, including those in the squares and architectural institutions in the city of Baghdad .the title (Ceramic Art and Urban Planning in the City of Baghdad) the problem was its wonders : 1- Does ceramic monuments suited their locations in the city of Baghdad with the architectural planning urban of the city.2- Does the recipient interacted with these monuments and the reasons of their existence. Then the aim: knowing the relationship of the ceramic monuments with the urban planning of the city of Baghdad .Then chapter 2, section 1 : architectural urban planning of the cities . The second : architectural design treatments in the contemporary cities. The Third: the visual conversation between ceramic art and architecture. Then the third chapter : the research procedures and samples analysis, then the forth chapter: results and conclusions like :Architects and the planners of contemporary Baghdad did not care about inserting the ceramic samples as a part of urban structure of the city and consultation the artists and specialized persons of ceramic arts movement within the streets and squares design and pedestrians movements.